النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

منظمة حرية الثقافة أيضا ...

*

كانت « منظمةحرية الثقافة » قد انشأت في لبنان فرعا لها منذ سنوات تولاه الاستاذ بشاره غريب . وفي العام الماضي ، أسندت وكالة هذا الفرع الى الدكتور جميل جبر بمعاونة الاستاذ سامي الشقيفي المحامي ، وافتتح هذا الفرع مكتبا فخما له في بناية «ستاركو» وبدأ يمارس نشاطا ملحوظا ، فيدعو الى ندوات ادبية ، وينشيء جوائز مختلفة ، وينفق على مآدب ودعوات . وقد أصدر فرع المنظمة في الشهر الماضي مجلة كبيرة باسم « حوار » في اخراج انيق وورق ابيض غالي الثمن وقد اشترك في تحرير العدد بعض الادباء الذين دفعت لهم تعويضات كبيرة تراوحت بين ١٥٠ و ٥٠٠ ليرة لبنانية ، وأسندت رئاسة التحرير الى الاستاذ توفيق صايغ وسكريتيرية التحرير الى رياض نجيب الريس .

كل هذه المظاهر اثارت تنبه الاوساط الادبية وخلقت شكوكا حول المنظمة واهدافها وألوان نشاطها . وانقضت بضعة اشهر وعدد من الصحف الوطنية تنشر المقالات والدراسات حول « منظمة حرية الثقافة » ، ومن هذه الصحف « الصياد » و « الانوار » و « الشعب » و « الاخبار » و « صوت العروبة » و « النداء » . ثم انضمت مجلة « الاداب » الى هذه الصحف واتخذت موقفا سلبيا صريحا من المنظمة على ضوء الابحاث والتقارير التي نشرتها تلك الصحف .

وقد دلت التحقيقات على ان عددا من المجلات الاجنبية التي تصدر عن المنظمة في الخارج تنشر منذ سنوات مقالات ودراسات تتضمن اشادة ودعاية للصهيونية ولاسرائيل ، وطعنا بالعرب وتحقيرا لشانهم مما يبدو واضحا في التقرير المرفق كما ان مندوبين عن اسرائيل يحضرون المؤتمرات التي تقيمها المنظمة في العواصم العالمية ، وللمنظمة مراسلون في اسرائيل ومكاتب . (١) .

وبالرغم من ان مجلات المنظمة التي تصدر في الخارج تنص على ان المقالات التي تنشرها لا تلزم المنظمة ، وانما تلزم كاتبيها وحدهم ،فان غزارة المادة التي تشيد باسرائيل وتدعو للصهيونية لا يمكن ان تكون صادرة الا عن توجيه وتخطيط مدروسين .

ومن المؤسف ان اعداد مجلتي « بروف » و « اتكاونتر » قد سمح لها حتى الان بدخول لبنان ، ولم يمنع اي عدد منها ، خلافا لما يحدث بصدد الصحف التي تتضمن مثل تلك الدعايات .

وقد كان من الطبيعي انيمتنع عدد كبير من الادباء في لبنان وسائر البلاد العربية عن التعاون مع المنظمة ومجلتها وان تقف الاوساط الادبية والصحف الوطنية موقف الحذر والشك في افتتاح فرع لهذه المنظمة في لبنان ، لا سيما بعد ان ورد في افتتاحية العدد الاول من مجلة « حوار » العبارة التالية :

« ان ما يجمع بينها (الضمير يعود الى حوار) وبين سواها من المجلات التي تصدرها المنظمة العالمية لحرية الثقافة هو اشتراكها في الاهداف التي أخذتها هذه المنظمة على عاتقها : « ان تشجع روح البحث الحر والتكرس للحقيقة وتقدير الابداع وان تدافع عن الحريات الفكرية ضد اي افتئات عليها مهما كان مصدره . »

ويستطيع المراقب الذي يتحقق من ان احد أهداف المنظمة تلك الالوان الفاضحة من الدعاية لاسرائيل ان يتساءل عن مهمة فرع المنظمة في لبنان ...

ومما لا ريب فيهان الصهيونية العالمية واسرائيل يشاركان في تمويل هذه المنظمة التي تقوم بالدعاية لهما ..

وقد سبق لبعض الصحف اللبنانية ان طالبت رئاسة تحرير « حوار » بنشر مقال او صورة او دراسة عن مأساة اغتصاب اليهود لفلسطين ، فلم تستجب المجلة لذلك . وهذا لا ريب ذو دلالة ومغزى ..

من اجل هذا كله يطالب الادباء اللبنانيون بان يضع المسؤولون في لبنان حدا لنشاط فرع المنظمة في بيروت وان يغلقوا مكاتبه ، حرصا على منع الدعاية الصهيونية من التسلل عن طريق الادب وبحجة الدفاع عن حرية الثقافة ، وتاكيدا على ضرورة بقاء الثقافة الوطنية شريفة قوية ، صامدة في وجه كل الدعايات والاغراءات .

وننشر فيما يلي عدة وثائق عن نشاط المنظمة المشبوه وعلاقاتها باسرائيل والصهيونية :

كتب جوزف السوب في العدد ٧٠ (كانون الاول عام ١٩٥٦) من مجلة « بروف » مقالا يقول فيه :

« طوال عشرين عاما من كتابة الريبورتاجات السياسية في بلدي وفي الخارج ، لم يثر شيء انفعالي بمثل العمق الذي اثارته زيارتي لاسرائيل ... وليست حكمة السياسة الاسرائيلية هي التي اذهلتني بقوة ، بل مجرد الجو ، الجو المعنوي اذا شئتم ، للحياة الاسرائيلية .

« ان الحرب ضد العرب لم يمض عليها سوى ثماني سنوات ، ويذكرها الناس كأنما كانت بالامس . ولم تكن الحكومة الاسرائيلية مطلقا بحاجة الى منح اي وسام عسكري لكي يبلغ مرتبة الشرف ابطال الحرب ضد العرب ـ يغال يادين وموشي ديان ويغال اللون ـ ولكي نجد اسماءهم ترد خلال احاديث مواطنيهم .. ان البطولة في اسرائيل هي موضوع للحديث يلقى التقدير هناك بصورة خاصة .. ان قصص الماضي تستولي عليك بهذه الصفات الانسانية الفنية التي تشكل نسيج الاساطير وعلاوة على ذلك ، فان اسرائيل هي محاصرة من جميع جيرانها العرب ، وسوق البطولة ـ اذا صح التعبير ـ دائرة على قدم وساق . »

وفي المقال نفسه :

« ان ملايين روتشيلد واليهود الاميركيين ووعد بلفور ورسائل ماكدونالد وجهود الرئيس ترومان في هيئة الامم المتحدة ، هذا كله ما كان ليعطي نتيجة لو لم يكن لدى الشعب الاسرائيلي احساس عميق بانه ينجز مهمة جوهرية . »

وفي العدد ٧١ (كانون الثاني ١٩٥٧) كتب ريمون آرون في مجلة « بروف » مقالا بعنوان : ، السويس وبودابست » جاء فيه قوله :

« ان نوعا من العنصرية غير الواعية قد دفع قادة البلدان الاسيوية للاحساس بصورة اشد بالاهانة الموجهة الى اخوانهم في مصر ..

« ان انتصارا باهرا (على مصر) ربما كان من شانه محو عواقب تصويت الامم المتحدة ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل ... واسوأ ما

(١) هي وكالة ستيماتسكي بتل ابيب ، ص ب ٦٢٨ .

في الامر ، واكثر اثارة للسخط ، هو ان القيادة السيئة للعمليات لم يكن سببها نقص الرجال ، والعتاد ، بل كما يبدو لنا خطأ في التخطيط على المستوى العالي . والوزراء ، كما يبدو ، لم يقنعوا بالاميرالات بالسرعة التي كان لا غنى عنها . »

وينهي آرون مقاله بقوله :

« كلا ! لا تطلبوا الينا ان نعلن ان السيد بن غوريون هو معتد لانه يحاول تدمير قواعد انطلاق الفدائيين المصريين . »

ويقول كارل ياسبرز في مقال افتتاحي بالعدد ١٢٣ وتاريخ ايار ١٩٦١ تحت عنوان « ما وراء محاكمة ايخمان » ما يلي :

« ان لاسرائيل الحق بان تفخر لانها استطاعت لاول مرة منذ الاف السنين ان تقدم لكل يهودي ارضا يضع عليها قدميه . وبوسع اسرائيل وهي في وضع مهدد باستمرار اكثر من وضع اية دولة اخرى ان تفخر باستطاعتها ان تمثل مصالح الجنس البشري بتمثيل مصالحها الخاصة . وليس بالامكان كذلك ان يرفض لاسرائيل الحق بالافتخار بسيادتها التي ظفرت بها : هذا الفخر هو من شان جميع الدول الوطنية .. »

وفي العدد ١٣٠ بتاريخ كانون الاول ١٩٦١ تحت عنوان « رسالة من تل ابيب ـ اسرائيل وافريقيا » العبارة التالية ، والمقال بقلم موريس بوليتي :

« ان اسرائيل هي الدولة الوحيدة القائدة التي يمكن ان تخدم بمثابة مثال الامم الجديدة المستقلة في افريقيا »

وفي المقال نفسه ، ما يلي :

« لقد سبق للسيد بن غوريون ان اعلن ان الوسيلة الاكثر فعالية للحصول على الصلح مع جيراننا هو كسب اكبر عدد ممكن من الاصدقاء في افريقيا وآسيا ، اصدقاء سيفهمون اهمية اسرائيل وبراعتها في الاسهام في تقدم الامم المتخلفة ، والذين سيقومون ايضا بافهام ذلك للحكام العرب » وفي المقال نفسه :

« ان اسرائيل تعاني من الصعوبات التالية التي يجب ان تتحرر منها :

أ ـ انها تشكل امة من المعمرين الذين طردوا المحتلين السابقين للبلاد .

ب ـ انها البلد الاسيوي الوحيد الذي يقطنه رجال ينتسبون الى اوروبا من حيث لونهم وثقافتهم .

ج ـ ان اسرائيل ترفع عاليا وباصرار سمعتها كحاملة مشعل الحضارة الغربية .

د ـ اخيرا ان اسرائيل تتعرض منذ عشرين عاما لدعاية حاقدة ـ من قبل العرب ـ وهي دعاية تفوق الى حد بعيد اصرار وشدة الدعاية النازية » .

« ان اسرائيل تشكل اليوم عنصرا هاما في تكوين الفكر السياسي الافريقي » وفي المقال نفسه :

« ان اعنف صدمة اصيبت بها الدبلوماسية الاسرائيلية كانت مؤتمر باوندنغ » والعبارة التالية :

« ان كلمة عربي ، في جنوب الصحراء الكبرى ، هي مرادف للمعتدي وتاجر الرقيق »

« منذ ان اصبح اسم اسرائيل مالوفا على حد سواء في اكرا ومونروفيا ولاغوس وابيدجان وكذلك في واشنطن وباريس ولندن فقد اصبحنا نتمتع باعتبار استثنائي في عواصم الغرب الكبرى . ان راينا اصبح مسموعا ومحترما . »

وفي الرسالة نفسها :

« ان كل وجه باسم في افريقيا ، وكل يد يمدها اسيوي ليصافح بها اسرائيليا ، انما تعزز الانطباع المثير بتكوين جزء من عالم اكبر وكون مفتوح امام جميع الافكار وجميع التجارب : واليهودي الاسرائيلي الشخص المنعزل ، يندمج حينئذ ، وذلك ما يعود عليه باكبر الخير في الفسيفساء الرائعة التي تكونها بشرية تنظر الى مستقبلها . »

والعبارة التالية :

« ان التقارب مع بلدان افريقيا يشكل اليوم لاسرائيل العنصر الرئيسي في سياستها وفرصتها الكبرى والوحيدة لكسر الطوق المميت الذي تضربه البغضاء العربية . »

صدر عن :

دار الطليعة ـ بيروت

ص.ب ١٨١٣

* * *

الجهاد الافضل	تأليف الاستاذ عمار اويغان
واقع الفكر اليمني	« سيمون دي بوفوار
العرب وتجربة المأساة	« صدقي اسماعيل
تجارة الرقيق في الشرق الاوسط	« سين أوكلاغان
سنوات في اليمن وحضرموت	« الطبيبة الالمانية ايفا هويك
رجال في الشمس	« غسان كنفاني
صلوات للريح ـ شعر	« خليل خوري
لن نموت غدا	« ليلى عسيران
بالتازار	« لورنس داريل ، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي
شارع السردين المعلب	« جون شتاينبيك ترجمة منير بعلبكي
طريق التبغ	« ارسكين كالدويل ترجمة منير بعلبكي
فلسفة القلق	« مطاع صفدي

الجمهورية العربية المتحدة

بيكيت ... يثير مشكلة

لمراسل « الاداب » الخاص

*

الكاتب المسرحي صمويل بيكيت أثار مشكلة كبيرة في الحياة الادبية خلال الشهر الماضي . لقد افتتح مسرح الجيب موسمه الاول بعرض مسرحية بيكيت « لعبة النهاية » . وسرعان ماظهرت اقلام تهاجم بيكيت وتطالب باغلاق مسرح الجيب . وكانت التهمة ان بيكيت فنان غامض يائس ، وان مسرح الجيب عندما يتبنى هذا الغموض وهذا اليأس انما يساهم في الاساءة الى روح الشعب الذي يبني ويعمل .

ولكن هذه الدعوة لم تكن منصفة بحال من الاحوال . بل كانت اتهاما لايقوم على اساس صحيح .

ففكرة مسرح الجيب قامت لتقديم هذا النوع من المسرح الذي لايمكن عرضه في المسارح العادية ، ولا امام الجمهور العادي . وهي فكرة معروفة في البلاد الاوروبية ، حيث تقوم مسارح الجيب دائما لحماية « المسرح الصعب » من سلطان الجمهور العريض . وحتى لاتتكرر المأساة المعروفة التي وقعت للفنان العظيم تشيكوف . فعندما عرضت مسرحية تشيكوف الاولى في موسكو لقيت أسوأ استقبال من الجمهور حتى لقد فر تشيكوف هاربا من المسرح اثناء عرض المسرحية . بل لقد خرج من موسكو نفسها ليبتعد عن هذا الجو الغني السيء الذي أثارته مسرحيته الاولى .

ولم تكن المسرحية سطحية ولا تافهة . ولم تكن المسرحية ضعيفة في اي جانب من جوانبها . ولكن المسرحية في الحقيقة ـ كانت وما تزال ـ عملا فنيا جديدا غير مألوف للجمهور فانكرها وانصرف عنها .

ونشأت فكرة مسارح الجيب لهذا السبب . وهي مسارح صغيرة جمهورها يتكون من خلاصة المثقفين المستعدين للتجاوب مع التجارب الجديدة الصعبة في المسرح .

وقد كان تحقيق هذه الفكرة املا كبيرا من امال المثقفين في الجمهورية العربية المتحدة . ولذلك كان غريبا ان تقوم هذه الحملة العنيفة ضد مسرح الجيب .

ومع ذلك ..فعلى اي أساس ارتكزت هذه الحركة المعادية لمسرح الجيب ..؟ لقد ارتكزت هذه الحركة على شيء واحد هو مهاجمة بيكيت واتهامه باشنع الاتهامات وانتهى الامر بالدعوة الى مصادرته ومصادرة مسرح الجيب معه .

والواقع ان مسرحية « نهاية اللعبة » التي قدمها مسرح الجيب لا تستحق كل هذا الهجوم ، بل هي على العكس مسرحية عميقة رائعة تعتبر من ارقى ما شاهده المثقفون من جمهور المسرح في بلادنا .

لغة الحوار في المسرحية تعتبر من اجمل ما عرفه المسرح في العالم فهي لغة شعرية شفافة ، توحي الى الانسان بالمعنى اكثر مما تدل على هذا المعنى دلالة مباشرة. ولقد كانت هذه اللغة الجميلة الجذابة سببا في اعطاء مذاق خاص عميق للمسرحية ، ومنذ اللحظات الاولى يرتبط الانسان بالمسرحية وهو يشاهدها ولا يستطيع ان يقاوم جاذبيتها الفنية .. لا يستطيع ان يقاوم هذه الموجة من الكلمات الجميلة التي تتردد على السنة الابطال الاربعة الذين يمثلون هذه المسرحية وهم « كلوف » الشاب الصغير ، و « هام » الاعمى المقعد و « نيل » و «ناج» وهما ابوا « هام » يعيشان في صندوقي « زبالة » كما انهما مقطوعا الساقين .

ولكن يبدو ان المشكلة هي مشكلة المضمون في هذه المسرحية . فالذين هاجموا المسرحية يعتبرونها يائسة متشائمة قاتمة . والواقع ان هذه النظرة الى المسرحية لا يمكن الا ان تكون نظرة سريعة وسطحية ففي المسرحية اسرار كثيرة يجب معرفتها وكشفها قبل الحكم عليها .

من هذه الاسرار ، ان المسرحية مليئة بالامكانيات الفكاهية ، ولا شك ان مخرج المسرحية سعد أردش ، وهو نفسه مدير مسرح الجيب لم يبرز هذا الجانب الفكاهي بدرجة كافية رغم المجهود الكبير الذي بذله في اخراجها .

من نماذج الفكاهة في هذه المسرحية أن يقول « هام » : « اسلخ جارك كما تسلخ نفسك » ..

وهذه العبارة « سخرية » واضحة من العبارة الحكيمة الشائعة « أحبب جارك كما تحب نفسك .. وهناك ايضا تلك النكتة التي يرويها « ناج » لـ « نيل » بقصد اضحاكها ، وتدور هذه النكتة حول رجل انكليزي اراد تفصيل بنطلون فذهب الى الترزي الذي طلب منه ان يعود بعد اسبوع ليتسلم البنطلون ، وعاد بعد اسبوع فطلب منه ان ينتظر عشرة ايام اخرى ثم طلب منه ان ينتظر اسبوعين .. وهكذا

واخيرا ذهب الرجل الى الترزي وقال له : « لعنة الله عليك يا سيدي ... هذا امر عجيب تماما ! هناك حدود للادب . في ستة ايام ـ هل تسمعني ـ في ستة ايام خلق الله العالم . العالم كله . وانت لم تستطع ان تصنع لي بنطلونا في ثلاثة شهور . »

فيرد الترزي في اعتذار « ولكن يا سيدي العزيز .. انظر يا سيدي العزيز انظر الى العالم وانظر الى البنطلون الذي صنعته »

فالمؤلف هنا يسخر من الاضطراب القائم في العالم ، وهي سخرية واضحة .. وقد يكون اي شخص اكثر دقة ومنطقا من هذا العالم الذي تنقصه القاعدة الحاسمة والمنطق الدقيق .

مثل هذه الروح الفكاهية منتشرةفي المسرحية من اولها الى اخرها ولا شك ان هذه الروح لو ظهرت بدرجة كافية في المسرحية لكان ذلك كفيلا باذابة الروح القاتمة في المسرحية .

على ان وجهة النظر الفلسفية في المسرحية لا تؤدي الى هذه النتيجة اليائسة التي يدعيها الذين هاجموا المسرحية . فالمسرحية تقوم على الفلسفة الوجودية المعروفة وهي : ان الانسان يواجه الحياة ويستمر فيها رغم ما تمتلىء به من تعاسات واحزان كبيرة .. وهذه هي بطولة الانسان وقوته ..

فالمسرحية تكشف عن احساس عميق بان كثيرا من الاشياء التي نؤمن بها في هذه الحياة ليست الا وهما من الاوهام . وان الانسان يقف في العالم وحيدا يعتمد على قوته وارادته . ولا يعتمد على قوى خارجية ولا على امال تبددها التجارب المختلفة بحيث ينتهي الانسان الى انها امال زائفة .

وهذه هي نظرة الوجوديين الى الحياة، وهي ليست نظرة سلبية ولا متخاذلة ، وانما هي نظرة « واقعية » عميقة . ومن الضروري ان نلاحظ ان هذهالنظرة لا تهدف الى تفسير المجتمع ولا وضع الانسان في المجتمع . وانما هي نظرة فلسفية تعالج مشكلة الانسان بين الوجود والعدم ، ولذلك فان المسرحية لا تمس من قريب ، او من بعيد اي نزعة ايجابية في تنظيم الحياة مثل الفكرة الاشتراكية . ولا يمكن لاشتراكي صادق ان يخرج من هذه المسرحية مهزوز العقيدة ، لان المسرحية لا تمس التنظيم الاجتماعي للحياة الانسانية بل تمس « التنظيم الطبيعي » اذا صح التعبير .

وعلى هذا الاساس الفلسفي نجدنا في النهاية امام مسرحية متفائلة ولكنه التفاؤل العميق وليس التفاؤل السطحي الساذج . فعندما يقول « هام » في المسرحية بعد ان اصابته الدنيا بكثير من فجائعها واحزانها

« ... ومع ذلك فانا اتردد .. اتردد في ان انتهي »

ليس في هذا دليل على معنى المحاولة الانسانية العميقة .

ويقول « هام » ايضا لـ «كلوف » :

« دعنا نذهب من هنا نحن الاثنين جنوبا ! تستطيع انت ان تصنع مركبا صغيرا ، وسوف يحملنا التيار ، بعيدا ، بعيدا جدا . الى حيث توجد حيوانات ندية اخرى » .

فاذا اعتبرنا المسرحية تتحدث عن الانسانية المأزومة ، أفليس مثل هذا الكلام حنينا واضحا الى النجاة والحياة ؟.. اليست المركب هنا شبيهة بمركب نوح التي انقذت الانسانية من الطوفان بعد ان اوشك هذا الطوفان ان يقضي على كل شيء . اليست الكارثة الانسانية المعاصرة اشبه بهذا الطوفان القديم الذي يهدد كل شيء بالدمار .. حيث ترمز المركب للامل في الخلاص والاستمرار ؟

وقبل ان ينتهي « هام » يقول :

« الان قليل من الشعر »

ويبدأ في انشاد قصيدة . وقبل نهاية المسرحية ايضا يلمح كلوف طفلا خارج النافذة . اليس هذا كله دليلا حاسما على ان هذا الفنان لا يقصد ان يقول ان كل شيء قد انتهى او ان كل شيء يجب ان ينتهي؟ اليس هذا دليلا على ان هناك في هذا العالم ما يستحق ان يتمسك به الانسان رغم ما فيه من مآس عديدة فظيعة ؟.. اليست الطفولة رمزا للاستمرار .. رمزا للبطولة الانسانية حيث يقف الانسان على قدميه رغم كل شيء ؟! اليس « الشعر » الذي يلجأ اليه هام قبل النهاية دليلا على ان الحياة بالنسبة للانسان لم تخل ابدا من هذا الشيء الذي يمكن ان يجعلهاممتعة وعميقة الا وهو الشعر ؟

ان المسرحية مليئة بذلك الامل الفلسفي العميق ، الذي يجب ، ان نبحث عنه بوعي وصبر ، فليست هذه المسرحية من الاعمال الفنية الساذجة التي تعطي نفسها في اول مرة ، وليست هذه المسرحية من الاعمال التي نذهب الى مشاهدتها لنعرف بعد لحظات ماذا تقصد والى اي شيء تهدف ، وليست هذه المسرحية ضمادة رقيقة لجراحنا ، بل هي في الحقيقة عمل فني عميق ودقيق ، وهي ايضا عمل فلسفي صعب . والذين يفهمونها بسطحية وسرعة يسيئون الى ثقافتنا ووعينا ويحاولون ان يغلقوا علينا جميع النوافذ حتى لا نعرف ماذا يدور في العالم من تطورات فنية خصبة .

ومسرح الجيب هو المؤسسة الرائعة التي تتيح لنا هذه الفرصة النادرة ، حتى نستطيع ان نعرف ماذا يدور حولنا من تطورات حقيقية وهذا الهدف يعتبر من اسمى اهداف ثورتنا الثقافية التي تقوم على الوعي العميق واتساع الافق والقدرة على فهم الاتجاهات الجديدة واستيعابها .

ولذلك يجب ان يستمر مسرح الجيب . ويجب ان تنتهي هذه الحملة الموجهة ضده والتي لا يسندها اي اساس من المنطق او الحق .

« د . ن »

صدر حديثا

قضايا الشعر المعاصر

بقلم

نازك الملائكة

اوفى دراسة
وأعمقها في مشكلات الشعر
العربي الحديث

منشورات دار « الآداب » الثمن ٤٥٠ قرشا لبنانيا

ليبيا

ازمة المثقفين في ليبيا

✶

يعاني المثقف في هذا البلد من الوطن العربي الكبير ازمة ثقافية وجدبا عقليا ، لم يجد لهما حلا حتى الان ، فهو بعيد عما ينير امامه الطريق ، ويبعث فيه امل العمل المتواصل من اجل ثقافة اوسع واعمق تزيد من قيمته وتساعد على رقي الثقافة في البلاد العربية . فالجمعية الادبية اليتيمة التي ظهرت في طرابلس منذ سنوات « جمعية الفكر » والتي كنا قد استبشرنا خيرا بظهورها لا تجد العون المادي ، ولا حتى المعنوي ، من الجهات المختصة .. فهي لم تستطع دعوة بعض المفكرين العرب لالقاء محاضرات بها .. وهي لم تستطع اظهار مجلتها التي انتظرناها منذ بداية السنة السابقة (١٩٦٢) فهاهي السنة قد انتهت ولم نر للمجلة وجها ، ولا اظن اننا سنراه حتى خلال هذه السنة .

اما « نادي الثقافة الليبي » الذي ارادت حاجة المثقف في هذه المدينة ـ بنغازي ـ ان تنشئه ، فانه اجهض قبل ان يولد ، ونسأل لماذا ؟!... فلا مجيب ، ولم يأسف اعضاء لجنته التأسيسية الا على الليالي التي ضاعت في سبيل اعداد دستوره ، والمناقشات الحادة بسبب تعديل بعض مواده .

وقد يسأل بعيد عن هذا البلد ـ اليس للبلد صحافة تساعد على تنمية الثقافة ، وترفع من قيمة المثقف ؟ ولكني اقول ـ وبكل اسف ـ! ان الصحافة في ليبيا معدومة ، اذا قارناها بالصحافة في البلاد العربية الاخرى . وتعجب اذا علمت ان الصحف المستقلة اكثر بعدا عن الثقافة من الصحف الحكومية وليس لها اهتمام الا بالجري وراء الاعلانات التجارية ، والمنح التي تقبضها من الشركات والسفارات ، تاركة مشكلة المثقف ـ غيرعابئة ـ للزمن . وجريدة « طرابلس الغرب » وهي حكومية هي الصحيفة الوحيدة التي تتكفل بنشر بعض النتاج الادبي . اما المكتبات العامة فانها هي الاخرى معدومة من هذا البلد ، والذي يسميه المسؤولون مكتبة انما هو صالة بها بعض المجلات المصورة .. اماالمراجع والكتب الادبية والعلمية القيمة فليس لها وجود . حتى المكتبات التي تبيع الصحف والمجلات تحرم المثقف هي الاخرى من بعض المجلات الادبية ، والتي لها دور كبير في توعية الاذهان .

ان حاجة المثقف الليبي الى مجلة فكرية تنشر انتاجه وتقوي من عزمه وتعرفه بالشعب العربي . لضرورة من ضروريات بقائه ، ومن مستلزمات حياته . وان الجمعيات الثقافية هي الاخرى يجب ان تكون لتلم شتات المثقفين وتربط بينهم حتى ينتجوا ادبا يرفع من شأن بلدنا ويساويها بالبلاد العربية الاخرى ، ويساهم في ركب الثقافة ، والا فكيف نستطيع اللحاق بهذا الركب الذي لا يمكن ان يتوقف ـ ولا نريده ان يتوقف ـ لينتظر افرادا لم تسمح لهم ظروفهم باللحاق ؟

ان الواجب الذي يحتم على الدولة ، ان توفر للعامل العمل ، هو الذي يحتم عليها ان توفر للمثقف اسباب التثقيف ووسائله .. انها ازمة جديرة بالاهتمام ، ويجب أن تبدأ الدولة حتى تنتشل المثقف من مخالب القحط الفكري الهائل الذي سيؤول اليه اذا استمر هذا الحال والذي نرجوه ان لا تستمر .

بنغازي

محمد السايح يوسف

أزمة الثقافة والمثقفين

*

الباحثون حول الادب اليمني تصدمهم الحقيقة المريرة عندما لايجدون ادبا يمنيا بالمرة !!

هذه هي الحقيقة ـ بكل مرارتها ـ بكل قسوتها ـ وهذا مايجب ان يصارح به المثقفون اليمنيون انفسهم .. الواقع المر لابد من مجابهته بنفس الاصرار العنيد الذي حطم الطغيان وزلزل العفن الكامن في اعماق الجزيرة العربية كلها .. وعندما اقول « المثقفون اليمنيون » فانا اعني مجموعة الذين خرجوا من ظلام الامام احمد .. مجموعة الذين اتيحت لهم فرصة رؤية القرن العشرين وعلى الاخص اولئك الذين لهم اهتمام خاص بالادب .. اينما كانوا .. على هؤلاء يقع العبء الكبير .. عبء الخلق الادبي وعبء تطويره ..

وعلى هذا لااكون مغاليا عندما اقول ان الادب اليمني معدوم تماما في القرن الحالي او القرن الذي سبقه لان كل ابواب النور قد أوصدها الائمة على الشعب العربي في اليمن فعاش هذا الشعب في العزلة والجمود .. من كل النواحي الحضارية سواء الحضارة المادية ام الروحية .

ان اساطير ابن ذي يزن وشجاعة عنترة وانتشار الاسلام كل هذه قد تصلح فنونا « لفولكلور » شعبي يساعد القبائل البدائية على تذوقها وفهمها من خلال رقصات تعبيرية او اغان شعبية ، ولكننا نخجل في عصر « الوجودية و« اللامنتمى » و« اللامعقول » وكل المشاكل الادبية في العصر الحديث وفي النصف الثاني من القرن العشرين .. في كل هذا نخجل ان نكذبوان نسمي تلك الاساطير والوقائع القديمة « أدبا »..!!

ولكننا ـ ككل نواحي الحياة المادية ـ نستطيع ان نبني ادبا يطور العقلية البشرية العفنة التي لاتزال تعيش حياة هي أقرب الى حياة البدائية على عهد الجاهلية !! ونستطيع ان نسهم اسهاما فعالا ـ قادرا ومؤثرا ـ في تطوير تلك العقلية التي لاتزال تعيش الى اليوم وتتمثل في الملايين الرابضة في صحراء الجزيرة العربية .. في معظمها ..!!

ان المسؤولية اليوم لتجاوز المثقف اليمني الى كل مثقف عربي .. والعبء الجسيم على اليمني اولا ثم المثقف العربي ثانيا ..

وبرغم هذه المرارة كلها وبرغم ان احدا قد يتهمني بالاسراف الشديد في التشاؤم الا انني لاانكر ان محاولات ادبية قليلة قد حدثت ولكنها فشلت وتحطمت بسبب حكم الائمة ـ كما هو معروف ـ أولا ـ وبسبب الجهل الشعبي المتزايد .. ثانيا..

لست انكر ان محاولات شعرية ومحاولات لتطوير الشعر اليمني قد جرت .. ولكنها محاولات نادرة ولا تزال في زوايا النسيان ..!!

حدثت محاولات التطوير للمقالة اليمنية والشعر اليمني منذ عام ١٩٣٨ حين كان الشعراء يتبارون في مدح الامام احمد ومن قبله والده الذي قتله الاحرار عام ١٩٤٨ وكانت مجلة « الحكمة اليمانية » ـ اول واخر مجلة ادبية عرفتها اليمن في تاريخها ـ منبرا للمباريات الادبية .

مقالات تاريخية عميقة كتبها الشهيد عبد الوهاب الوريث « المؤرخ اليمني الوحيد الذي اغتاله الامام احمد عام ١٩٤٨ » ولاول مرة يخلو الاسلوب من المحسنات البديعية والالفاظ الركيكة .. وعلى يد الوريث ظهر التاريخ اليمني الحقيقي وامجاد اليمن العربية منذ عهد ابن ذي يزن.

وفي عدن ـ عاصمة اليمن الجنوبية ـ كانت هناك محاولات ادبية نجحت فعلا في ابتداع الاساليب الصحفية وفنون المقال الحديث في المجلة التي كان يصدرها الاستاذ محمد محمود الزبيري « أبو الاحرار اليمنيين واقدم ثائر عربي ووزير التربية الان » في مجلة « صوت اليمن » التي كانت تنتقد بأعنف الاساليب حكم الامام يحيى ولكن تصفية الامام احمد لثورة ١٩٤٨ وقطع رؤوس المفكرين الاحرار والعلماء أسدل ستار العزلة والخوف والجمود فلم تقم للمقال الادبي قائمة حتى اليوم وان ظل الشعر قائما طريقا سهلا للثراء يتقرب به اهله الى الامام احمد ، فالشعر هو كل ماتاليمن من فنون الادب .. الشعر القديم على الاخص وان حدثت محاولات التطوير على يد الاحرار المشردين المنفيين في عدن والقاهرة ودمشق والخرطوم وبيروت ، ولكن هذه المحاولات ظلت قابعة في زوايا النسيان .. وأمامي الان احد النماذج الشعرية التي غيرت مجرى صاحبها فتقلبت حياته فكان يوما وطنيا وربيبا للسجون ويوما بائسا حتى انتهى امره الى ان اصبح من اكبر اعوان الامام احمد حتى جرفه التيار الثائر فذاب وسط أعاصير الثورة ..

ومن الطريف في نماذج « احمد الشامي » ان هذا الشاعر سمى ديوانه « النفس الاول » وقال في مقدمته :

« لقد قلت شعرا يستحق النشر . وهاهو ذا تحت انظاركم ياشعراء اليمن وأدباءها . اقرظوه ان شئتم .. بالالسن .. او بالانياب . انه نفسي الاول .. وربما كان الاخير ! »

ولعله لم يكن يدري انه قد اصبح الاخير .. فعلا .. لان الشامي انتهى كأقذر عون لاقذر حاكم مستبد كالامام احمد .. وبعد هذا لايهمنا سوى موضوعية البحث للحقيقة وحدها ..

ها هو احد نماذج الرومانسية المتأثرة الى حد بعيد بشعراء الجاهلية .. وتحت عنوان .. « والتقينا ..! » يقول الشامي :

« اشهدي يانجوم كم بت في محراب حبي أشكو ليالي الفراق؟»
« اقلق الليل بالانين وابكي واناجي اطياف عهد التلاقي »
« حبها قد طغى على كل شيء فانا منه في اشد وثاق »
«والتقيناوشوقها مثل شوقي ملء ماحولنا من الافاق »

وبرغم هذه الابيات الضعيفة الا ان نماذج الشامي لاتخلو من أبيات طيبة كقوله في قصيدة اخرى :

« أثرت ياصورة المحبوب اجفاني وهجت كامن آلامي وأحزاني »
« رآك طرفي فهب القلب مضطربا وكاد يقفز من أحداق اجفاني »

وانتهت قصيدته الى القول :

« هناك دلهني شوقي ، فلا خلدي باق ولا انا موجود ولا فاني »

ولا نستطيع اغفال اشعار الشامي ابان انّ كان سجينا في الكهوف المظلمة في حجة . ها هو يصور بداية الحياة في السجن بأبيات شعرية لاتخلو من صدق فيقول :

« ياشمس ، يالم الحياة وداعا هجم الظلام على الضياء ففاعا
«والى الصباح دعي المصفد في الدجى يبكي الحياة معذبا ملتاعا
« ويراقب الفجر الكمين بمقلة حمراء تنفذ في الظلام شعاعا

ولكن من المؤسف ان هذا الوطني انتهى الى ان اصبح ذيلا للطاغية .. انتهى الى حد ان ندم على اشتراكه في ثورة الاحرار عام ١٩٤٨ ،وراح يتزلف للطاغية بشعر كثير .

وكل قصائد الشعر التي قيلت في عهد الامام احمد(١٩٤٨ ـ ١٩٦٢) كانت تتفاعل ببعضها البعض فقصيدة الشامي في مدح الامام تجر قصيدة اخرى يمتدح الامام بها تابع اخر حتى اصبح في اليمن مايسمى « بادب الامام احمد » .. لاننا مادمنا نشجب الملكية الطاغية فنحن نشجب ايضا « الادب الملكي » لنسعى الى ايجاد الادب الجماهيري . على انني في هذه الناحية لست انكر ان شعرا ثوريا متجددا متطورا قد قام به نفر قليل من المشردين اليمنيين أمثال الاستاذ محمد محمود الزبيري او عبد الله سلام او ابو حنبل او الشيباني الذي يمثل الشعر اليساري في شعره ، لكنها محاولات قليلة نادرة لم يقدر لها الظهور وان كانت قد عبرت على السنهم مجرد عبور . وثمة مشكلة اخرى وهي الهوة الشاسعة بين هؤلاء الادباء الذين لم تكن أشعارهم الثائرة تصل الى الشعب ـ القليل من الشعب ـ الا نادرا ..

كانوا مثقفين على الصعيد الثقافي العربي .. وفرق بين ثقافة القرن العشرين وعقلية القرن الخامس عشر في اليمن .. علاوة على عجز هذه الاشعار عن الوصول الى القلة المثقفة في اليمن ..

ولئن كان الزبيري هو أقوى شعراء اليمن جميعا من حيث التطور والتجديد .. ومن حيث الثورية في شعره الا ان العمل السياسي والتشرد والغربة كانت احد عوامل الجدب فطوال مدة حكم الامام احمد لم يصدر للزبيري سوى ديوانين هما « صلاة في الجحيم » وفيه صب الزبيري أهازيج قاعه العصيفة الثائرة والتي يتمثل فيها الضياع والتشرد والالام :

« ضيعت في صخب الامواج ألحاني وخنت فني وآلامي واحزاني »

والديوان الاخر وهو « ثورة الشعر » وهو عبارة عن مجموعة قصائد قديمة وحديثة معا .. بعضها انشدها على عهد الامام احمد ايام العسل معه والبعض الاخر ايام المرارة والالام :

« أجثو على ركبي خاشعا لجثة طاغية حنطوه
« أتحنو لطاغية جبهتي فمن هو.؟من جده.؟ من ابوه

وحقا .. كان الزبيري اصدق شاعر يمني ولكن شعره ضاع وتفرق فلم يقدر لديوانيه ان يدخلا الى اليمن . فهل نعتبر ادب المنفى يمنيا برغم ان خمسة ملايين ادمي لم يسمعوا به ؟؟.

ووراء الزبيري قافلة من « الشعراء » .. بعضهم هزته مأساة اليمن فماجت شجونه وتحركت عواطفه وصار يندب الحياة التي صارت اليها اليمن . هاهو يحيى جغمان يقول :

« لك الله شعبا بعدما كان سيدا عزيزا أبيا صار يحكمه عبد
« يدوس بنعليه العدالة قائلا أنا العدل ! وهو الظلم ابشع ما يبدو

وبعد هذه القصيدة سكت جغمان نهائيا عن الشعر .

وبرغم هذا الاجداب الا انني لن استثني المحاولات الشعرية التي يقوم بها شباب اليمن العربي ـ وها هو عبد الله سلام يقول الشعر الحديث في أبيات تنبض بالصدق والحرارة ـ ولكنها لا تخرج عن كونها محاولات او نزوات شعرية .. لا أكثر ..

« أيلول .. والشباب توأمان
« والحقل عمره ما عاش في أمان
« فللربيع أعين تمصها عقارب الزمان
« أيلول يا ربيع بذرنا
« يا قصة « الجهيش » كم تلوكها اللسان
« يا فجر كدنا يلوح باسما
« مخضوضرا يشيع في القلوب بلسما
« يا منجما قراره العميق منجما
« يموج بالعقيق بالنضار .. بالدماء
« له السواعد السمراء تهتف
« يفيض شوقها اليه يزحف
« وصوتها على المدى ينساب في انحدار
« كأنه شلال شوق ما له قرار
« فقريتي تعيش في انتظار
« رسولها مشردا يهيم في البحار
« يذوب في الحديد .. في الضباب .. في القفار ..

وهكذا كان هناك « شعر متوكلي » لم يتأثر به احد من الشعب وهو الشعر الذي تبناه الامام احمد وقاله الشامي والحضراني والحاشية ولم يسمع به احد من سكان « السعيدة المتوكلين » .

ثم الشعر الثوري ـ القديم ـ ومحاولات التجديد الضائعة ـ ولم يسمع بهذه الاشعار سوى نفر عديد من المثقفين اليمنيين في القاهرة او غيرها من البلاد التي لا يسودها حكم متوكلي .. وهذا الشعر اختفى او ذاب وسط اعاصير اليأس والتشرد والمحن والضباب .. والفقر .. بدليل ان احد دواوين الاستاذ الزبيري لا زال يرقد في احدى المطابع في القاهرة ـ لقلة ذات اليد ثم اشعار التجديد التي ظهرت ـ كتقليد ـ او نزوات شعرية عابرة من جانب الشباب اليمني في منفاه العربي ... والنتيجة الحتمية هنا .. ان الشعب لم يقرأ « الشعر المتوكلي » .. ولا وصلت اليه قصائد الثائرين في كل منفى فظل الشعب لا تربطه بالشعراء صلة .. وبالتالي انعدم الشعر اليمني سوى من تلك المحاولات والنماذج المتناثرة ... وهذا الكلام ينطبق على الشمال اليمني الذي حكمه الاستبداد والعبودية .. كما ينطبق ايضا على الجنوب المحتل الذي يتلاعب بمصيره المحتلون ..

واذا كانت القصة العربية ـ وحتى العالمية ـ قد اصبحت تشكل الدعامة الرئيسية التي يستند عليها الادب في اي مكان في العالم فان القصة اليمنية تكاد تنعدم على الاطلاق .. وثمة محاولات جرت في الصيف الماضي حين اخذت صحف الجنوب اليمني في عدن تهتم بهذا اللون الادبي الذي عرفته مصر منذ نصف قرن تقريبا .. واخذت صحيفتا العمال والحقيقة تنشران بضع اقاصيص صغيرة لم يقدر لها النجاح جميعا لانها قصص اتسمت بالذاتية اولا لان الكاتب في معظمها يتحدث عن نفسه .. او يحشر نفسه .. وعلى لسانه يقارن بين احساس الفرد الادبي في اليمن .. والفرد العادي في اي مكان .. وباختصار كانت محاولات القصة لا تخرج عن ذاتية مقصودة ، لكن المضمون كان نقدا مريرا للحياة التي يعيشها اليمن على عهد الائمة .. ومن هذه القصص القصيرة « عيد سعيد » و « القلعة » و « الضجر » .. على ان هذه المحاولات الجديدة الناشئة لبناء فن قصصي هادف لم تلق قبولا لدى صحف عملاء الاحتلال .. فبدأت صحف « الايام » و « الجزيرة » و « اليقظة » تنشر قصصا من قصص التمييع بأساليب رخيصة لا هدف فيها ولا مضمون .. واحد عملاء « الامام احمد » طوال عهده المديد كتب قصة بعنوان « بائع الحطب » .. جعل القصة صدى للحياة التي يعيشها المؤلف لا للحياة التي يعيشها بائع الحطب او الفلاح فلقد صور اسماعيل الجرافي في هذه القصة الصغيرة الفلاح «السعيد» ولهذا لا غرابة ان يكون الفلاح سعيدا في عهد اشتهرت اشقى دول الارض واتصفت « بالسعيدة » ..!! وهذا هو كل تراث اليمن القصصي ثم ماذا بقي اذن ... ؟؟

الفنون الاخرى كالنحت والرسم لا توجد اطلاقا .. بل حتى الصحافة فالمطبعة لم ترسخ بعد في اليمن .. مطبعة غوتنبرغ والجمع اليدوي على الالواح الخشبية لا تزال هي الطرق السائدة في اخراج الدوريات الهزيلة التي كان يحررها الاميون والجهلاء من اتباع « الامام احمد » وباختصار .. اذا كانت اليمن لا تزال تستعمل مطابع عام ١٤٤٤ لاخراج دوريات هزيلة محشوة بالاساليب الغثة المسوخة والاغلاط الاملائية ... فأي تخلف بعد هذا ؟ ..

وبعد هذا كله .. يبدو لي ان ثمة مشكلة ستبرز حتما لو صحت النظرية القائلة بأن التقدم الحضاري يخلف وراءه تخلفا ثقافيا .. فاذا كانت اليمن اليوم قد تحررت واصبحت تشكل دعامة اساسية من دعائم التحرر والوحدة العربية فمعناه انها قد بدأت معارك البناء .. شوطها الطويل لادخال مظاهر حياة القرن العشرين الى اليمن .. ومعناه ان التقدم المادي قد لا يسير جنبا بجنب مع اي نهضة ثقافية .. او فكرية وهذه المشكلة ستبرز علاوة على العقلية القبلية نتيجة حكم التمزيق والتفرق في عهد بيت « خراب الدين » ـ كما اسماهم الزعيم عبدالله السلال ـ

من هنا تبرز الادوار الرئيسية لمجابهة اي مشكلة قد تنجم عن حياة اليمن المنتظرة ومن هنا يبرز العبء الذي لا بد من حمله .. على المثقف اليمني وعلى كل يمني له اهتمام بالادب والفكر ..

وعلى المسؤولين اليوم عن ايجاد الثقافة والفكر ضمن الاطار الرئيسي للثقافة والفكر على صعيد الوطن العربي كله ، على هؤلاء المسؤولين الذين يمسكون بزمام العلم والاعلام في حكومة الثورة اليمنية حاليا .. ان يدخلوا ضمن برامج التعليم ـ كمواد رئيسية ـ تاريخ الفنون الادبية في العالم .. والوطن العربي على وجه الخصوص .. وان يشجعوا كل انتاج ادبي مهما كان حظه من الضآلة مع محاربة اي تفكير ذاتي منذ نشوئه ـ وهذه احدى مميزات بناء ادب جماهيري بمعناه الواسع ـ وان ينشؤا في كل عاصمة .. وفي كل قرية .. وفي كل

حارة مكتبة شعبية صغيرة تضم احدث انتاج فكري او ادبي مهما كانت التكاليف .. والا تكتفي الدولة بتسهيل دخول المجلات الادبية ومنع الرسوم الجمركية عليها بل وان تتحمل الدولة ثمن شراء المجلات الادبية في اقطار الوطن العربي وتبيعها للشعب العربي في اليمن بأثمان رمزية حتى يقبل على القراءة .. وان تصدر اليمن ـ كبداية اولى ـ مجلة ادبية صغيرة تطبع في اي مكان وتتناول بالنقد والدراسة اي انتاج عربي او عالمي ـ علاوة على نشر المواهب .. بمعنى ان تكون هذه المجلة ميدانا للخلق الفكري والادبي ولتكون طليعة ادبية وفكرية في اليمن النواة الاولى لتطوير العقلية البدائية في اليمن ..

بنفس الاصرار العنيد الذي حطم الطغيان وزلزل كل عرش عفن . لا بد آن تكون هناك نهضة فكرية قبل كل شيء .. لان الفكر هوالوجود بأكمله .. واخيرا يتبقى واجب كل مفكر عربي .. كل اديب .. وكل مثقف .. ان يكتب عن اليمن .. ان يهتم بأبناء اليمن .. ان يساعدهم على الخلق الفكري السريع .. وان يحتضن كل انتاج لهم .. وان يقدم لحكومة الثورة كل عون . وان يقترح ما شاء في سبيل ايجاد فكر يمني ضمن الاطار الفكري العربي المتحرر ..

محمد الزرقه

السودان

.. بعض مظاهر النشاط ..

*

في السودان اليوم « جرائد » يومية وبعضها اسبوعية ، سياره تعد على اصابع اليدين ، وهذه الجرائد تضحى بعضها لا كلها ، في خلال الاسبوع بصفحة واحدة ، تمنحها للخواطر الادبية التي تتلقاها من شهداء الكلمات « السجينة » . ونقول تضحي بهذه الصفحة ، لان الجريدة نفسها في غاية الاحتياج لهذه الصفحة ، تزحمها بالاعلانات حتى الانتفاخ ، وصاحب الجريدة له عذره ، فهو اولا ليس من اهل الادب وبالتالي ماله وللادب ، ما دام ثمن الاعلان عن « الوفيات » والعطاءات ومنتجات «شل» واحذية «باتا» بما فيها من تشكيلات رائعة ، كل ذلك مفيد وجزيل النفع لصاحبها ، معنى ذلك ان صاحب الجريدة حينما يتفضل وينتازل عن صفحة اسبوعية كاملة « تخرمش » بشيء اسمه «ادب» يكون كريما للغاية ونظرته بعيدة جدا وانه على اقل يحترم الادب ! وحتى حينما تمنح هذه الصفحة الاسبوعية والتي ينتظر القارىء والكاتب طلعتها « البهية » الزاهية فان طريقة الوصول اليها من قبل ناشئة الادب ، امر فوق مستوى الاستحالة وطريقة الوصول اليها من قبل المتمرسين بالقلم على علاتهم يحتاج الى « مودة » . وفي كلا الحالتين فان الانتاج الذي تطرحه هذه الصفحات ياتي شاحبا وهزيلا ، وغير مبشر بالخير !

المفيد الموجز ، ان المسيطرين على هذه الارض الادبية الشائكة اللا محدولة فئة لاهية ، وغير جادة ، واذا تشجعت وقلت الحق فئة لا تعرف عن « الادب » الا اسمه وحسب .

والسودان هذا البلد العربي الطويل العريق ، الرابض في صدر «افريقية» وعلى كتفها الايمن ، والذي لا يفصله عن بلاد الضاد الاسيوية سوى بحر « القلزم » ان هذا السودان لم يستطع اي واحد من بنيه الابرار المقتدرين انشاء مجلة ادبية واحدة تخلق « المجال والوسط » وقد حاول مرة الاديب القاص عثمان علي نور اصدار مجلة للقصة سدت الفراغ فترة وجيزة ولكنها فجأة سقطت وماتت !

وفي هذه الايام تبدو في الافق بعض الارهاصات ، وذلك بعدعودة الاديب الشاعر محيي الدين فارس من الجمهورية العربية المتحدة نهائيا واضطلاعه بصفحة ادبية بجريدة « الثورة » والصفحة رغم انها كرفيقاتها اسبوعية في صدورها ، الا انها تحمل زخما خاصا في تضاعيفها وفي محتواها ، فقد اثيرت فيها قضية من قضايا الادب اصطرعت فيها الاقلام حول فضائل الشعر القديم واهمية الشعر الجديد .

ومع ذلك ، فان الزوبعة لم تقتصر على المطارحات التي تدور على الصفحات الادبية ، فقد القى الدكتور عبد المجيد عابدين ، المحاضر بجامعة القاهرة فرع الخرطوم ، موضوعها « الخصائص الفنية للشعر الجديد » وذلك بدعوة من « الندوة الادبية » اشترك في مناقشتها كل من الاساتذة الدكتور العشماوي استاذ الادب الامين استاذ النقد الادبي بجامعة الخرطوم والاستاذ حامد حمدي والاستاذ الشاعر جعفر حامد البشير .

وقد استهل الدكتور عبد المجيد عابدين محاضرته بقوله : « يتساءل بعض النقاد : لماذا لا تنطبق صفة التجديد على القدماء انفسهم ، ومن بينهم شعراء برزت في شعرهم سمات كانت جديدة في عصرهم ، فابو نواس ـ مثلا ـ تحرر من بعض رسوم القصيدة التقليدية ، واودع شعره بعض المعاني التي آستقاها من ثقافة فارسية ، وكانت جديدة في عصره فلماذا لا يكون مجددا ؟ وابو تمام ذهب في صوره المتخيلة مذهبا خاصا به فلماذا لا يكون مجددا ؟ والمتنبي كان شخصية متميزة عمن سبقوه وعمن جاءوا بعده فلماذا لا يكون مجددا ؟ وابو العلاء عبر عن نظرات فلسفية خرج بها عن مألوف المعاني الشعرية ، فلماذا لا يكون مجددا؟

« والواقع ان التجديد ، في اصطلاحنا اليوم ، فلسفة كاملة واتجاه شامل لخصائص فنية معينة ، لم تجتمع في اي شاعر من هؤلاء الشعراء القدامى ومن جرى على طريقتهم . ولا يطلق التجديد الان ـ عند اكثر النقاد ـ الا على مجموعة من الخصائص الفنية التي تتحقق بكاملها في الاثر الفني » .

وقد لخص الدكتور عبد المجيد الخصائص الفنية ـ كما يراها ـ في ثلاث نقاط :

١ ـ انطلاق قوى النفس الشاعرة .

٢ ـ تكامل الاثر الفني .

٣ ـ التحرر الشكلي .

وفي مجال المقارنة بين الشعر التقليدي والشعر الجديد ، قال « ان تكامل القصيدة مبدأ فني ملتزم في الشعر الجديد ، وليس ملتزما في الشعر التقليدي ، والفن التقليدي فن تجاوري والفن الجديد فن تكاملي ، ونقصد بالتجاوبي ان يكون الاثر الفني مكونا من وحدات متكررة تتجاور أو تتراصف ، كما تتجاور خرزات العقد في نسق واحد كل حبة منها وحدة قائمة بذاتها ، فلو اننا اسقطنا منهن واحدة او اكثر او اضفنا اليهن حبات جديدة اوغيرنا من وضعهن في داخل السمط لما كان لهذا كله تأثير على جوهر العقد وتكوينه » .

ويستطرد الدكتور عابدين في محاضرته قائلا : « ان القصيدة القديمة كحبات العقد وحدات متجاورة ، الواحدة فيها هي البيت او العدد القليل من الابيات ، فاذا غيرنا من وضع وحدات القصيدة، اواستبعدنا بعضها ، او اضفنا اليها لما ترتب على ذلك تغيير في جوهر بناء القصيدة وتكوينها .. »

والواقع ان الفكرة ذاتها من حيث النظرة لبناء القصيدة القديمة فكرة بدهية ، قد تناولها الاستاذ الناقد محمود امين العالم مقدما امثلة من شعر الاستاذ (العقاد) ، وقد طبقها فعلا على قصيدة كان الاستاذ العقاد يمدح فيها « جلالة الملك فاروق الاول » ملك مصر والسودان في يوم من الايام !

ومجمل القول ان الحياة الادبية في السودان مؤلمة وتحتاج الى جهود جبارة وبذل صادق ، ولن تقوم للادب قائمة ، ان لم تضافر الجهود وتتكاتف الايدي ، وتصفو النفوس ، فتوضع البذرة الاولى وهي انشاء مجلة ادبية ، كبداية فقط .